لا جنة في الأرض

شريف رشاد

ديوان لا جنة في الأرض

ديوان شعر فصحى

تأليف : شريف رشاد

مراجعة لغوية : شريف رشاد

تصميم داخلى : رشا عبد الله

تصميم الغلاف : محمد إبراهيم

رقم الإيداع: ١٦٣٦٧ / ٢٠١٦

الترقيم الدولى: 978-977-85295-0-0

الطبعة الأولى: 2016

إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مشروع عابر للنشر والتوزيع

01007677910

3aberorg@gmail.com

www.3aber.org

3aber عابر

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

لا جنة في الأرض

شريف رشاد

مشروع عابر للنشر والتوزيع

إهداء أول إلى الصديقين

حاتم عبد الفتاح

هناء بحيري

إهداء ثان

إلى الأم والأخت والزوجة والمعلمة
وبناتي..

إلى المرأة في تجلياتها

الأعداء

ومخدوعون فيمن نصطفيهم
ونحسبهم لطيبتنا الصحابا
نخالطهم بصفو الود دوما
ونهديهم من الحب العجابا
فيرتشفون يرتشفون حتى
إذا نهلوا ....تناسوا من أثابا

تمر سهام أعدائي سلاما
وسهم أحبتي اخترق الحجابا
ويضحك صاحب منهم بمكر
يخاطبني سأنبئك الصوابا

«زمان الأوفياء مضى وإن لم
تكن ذئبا ....فلا تلم الذئابا»
سأضحك مثله في كل وجه
وتحت تبسمي سأدس نابا

الريشة الأخيرة...

مت... كما شئتَ
أو عشْ...
كما يرغبونْ
الخيار خيارك
كن ما تشاءْ
كيف تبكي على الأرض
والأرض لله، يورثها من يشاءْ؟!
ساريا لم تزلْ
والطريق امتدادْ
بين عينيكَ
تحمل ما قد تبقى من الذكرياتِ
البلادْ

دب في قلبك الخوفُ
فاخفض جناحكَ
لا تمتطِ الريحَ
أوتنطلقْ
سر...، ولا تلتفتْ
فالرفاق الذين احتواهم فؤادكَ
عند انكسارِكَ
لن يحتووكْ
ريشةً ريشةً
أفلت العمر منك سدًى
ريشةً...
ثم يأتي السكونُ القبيحْ
كنت كالموج تحلم أن تستريحَ
من الرحلة المرهِقةْ
والنهايةُ
حين وصلت الشطوط

مرثية شيء

ثلاثون عاما...نُديم الولاءْ
رسمناك نجما بقلب المساءْ

حسبنا سنينك دفئا فكانت
سنينا بها ما بها من شتاءْ

وَهِمناك حصن البلاد المنيعْ
هتفنا لتحيا ... ويفن الجميعْ

وحين استفقنا وجدناك جهرا
بلا أي ذنب قتلت الربيعْ

تقمصت وحدك دور البطولةْ
وقاسمت إنك فخر الرجولةْ
فضيعت أرضا وجوعت شعبا
ومزقت فينا رباط القبيلةْ

بسوطك أوهنت عزم الرجالْ
وعجلت بالجهل زحف الرمالْ

وقلت اتبعوني...فلما أطعناكَ
ألقيت سيفك (قبل النزالْ)

لتذهب وحيدا إلى الهاويةْ
وقل ضاع عني سلطانيةْ

تمن الرجوع، وكيف الرجوع؟!
وقد كانت الضربة القاضيةْ

المنفى

ثلاث سنين في المنفى
ولم تأت البشارة لمْ
أراقبُ طيفَ من أهوى
لأخبره بهذا الهمْ
فأبقى أحصد الأيام
لا أحد هنا يهتمْ

ترى سأعود للطفل الذي فارقته بالأمسْ
فيهمس لي بما يبغاه من حلوى
ويحلو الهمسْ؟!
يضيق الكون في المنفى
فحتى الحلم ضد اللمسْ

أخط على الجدار قصائدي مكسورة الأوزانْ
هنا لا حاجة للوزن، تشهد قبضة السجانْ
هنا لا حب لا بشرى وينسى نفسه النسيانْ

نسيج العنكبوت يلف حتى ضوء مصباحي
وأعرف من صراخ البوم إمسائي وإصباحي
وخمري من بقايا الروح أعصرها بأقداحي

هو المنفى اختيارٌ شاءه الإنسانُ أم جبرُ
نظل نعتق الأشوا ق ثم يضمنا القبرُ
فلا يجدي الذي من أجله قد ملنا الصبرُ

نزيف المصابيح

للمصابيح أن تستريح
توفر من ضوئها مرة
في المساءِ
ففي الليل
لا شيء يعبر عبر الممرات
غير الدماءْ
والبيوت التي احتلها العنكبوتْ
لا تضاء بغير النساء
والنساء الصبايا
سبايا بقصر الأميرْ
للأمير إذا فعل ما يشتهي
فهو يملك كل الضياء

الدروب التي دون ضوء
بها
يعبر المتعبون بصمتٍ
فلا تتكشف أوجاعهم
يحفظون تفاصيلها
والبطونُ خواءْ
والرداء به ألف جرح وجرحْ

أي ضوء ترى سوف ترسل تلك المصابيحُ
للمتعبينْ
، أم لمن جاء في موكب الضوء يحضر حفل العشاءْ؟!

أيها الليلُ
يا سترةَ المعدمينَ
ويا متعة الأغنياء
أعطني بسمةً
وامنع الماء عني

، السجائرَ، حتى النساءْ
قاتلي يحمل الآن نعشي
وحين يحل المساءُ
يجيء إلى أول الصفَّ كي يتلقى العزاءْ

السراب

لك أن تكون سواك،
لكن لن تكون كما تريدُ
الدرب أوصدَ
والفؤاد يئن من وطأ التذكرِ
لا هنا غير انتظارٍ،
وانتظارك صار أغنية ترددها الشوارعُ
في الشتاء مع الرعودْ
يا قلب مالك؟!
أنت من عشق الترحلَ
أنت من زينت لي.....
فتساقطت أوراقي الخضراءُ،
لم أجن الثمار من الجنانِ
وما حصدت سنابلي

أكل الحنين وسادتي
والليل ممتدٌ كدرب للنجومِ
وقد أضعت مشاعلي
لا تنخدع بالشرخ في المرآة لا
فالشرخ لا يخفي المشيب
الشرخ حاصل
ضرب رأسك في جدار الذكريات بلا حبيب

ها أنت تنتظر البشارةَ
أن من تهوى بخيرِ
والأحبة يحملون الشوقَ
والطفل الذي ودعته بالأمسِ
زاد مقاسُه شبرينْ

يا قلب مالك
هل مللت الصبرَ،
وانكشف السرابْ؟

أم رحت تحسب ما جنيتَ
فلم يعوض حلمك المبتورَ
عن طول الغيابْ
لك أن تكون سواك
حدق...فالمرايا لا تنافق كالصحاب
وليس فيها بين بين

الشوق الحائر

ولي أمل بأن ألقاك يوما
فيجتمع الهوى في مهجتينا

فمازال الفؤاد إليك يهفو
كأول مرة فيها التقينا

ومازال الحنين بلا شراع
وموج الشوق يقذفه إلينا

أساءل..هل أطقت البعد عني
وهل تحلو الحياة وقد نأينا؟!

لقد ذقنا العذاب بكل صنف
ودمع الحزن أرهق مقلتينا

وكم من غربة هدت قوانا
وكم من وحدة منها اجتوينا

أتذكر مرفأ للحب غضا
عرفنا الحب فيه وما غوينا..؟!

غَدَا من بَعدنا قبرا مخيفا
فلو تبكي الظلال بكت علينا

فعد..ما عاد بالقلب اصطبار
على الهجران حسبك ما جنينا

اللحن التائه

عمرُ مضى والشوق ليس بخابِ
وأنا أحاذر أن أبوح بما بِي

مابي من الأشواق لحن تائهٌ
لم ينتزعه العود من زريابِ

بِنْلَوْبُ ما كانت لتغزل مثله
ثوبا يسليها لطول غيابِ

تعبت بمنتصف القصيدة أحرفي
فأتيت بابك كي أنيخ ركابي

ظمآن لا ماء لدي ولا معي
زاد وصار الكون محض سرابِ

هلا فتحت الباب جئتك لائذا
من وحدتي وكآبتي وعذابي

هذي الثلاثون التي ودعتها
مرت أمام العين مر سحابِ

وطني الذي أحببته وفديته
ما كنت أملك فيه غير ثيابي

فيه القتيل يلام كيف دماؤه
سالت بلا إذن على الأعتاب

وطني الذي أحببت صار محاصرا
في رقعة للموت نهب ذئاب

وأنا المسيح أنا الذبيح أنا الذي
أغشى السجون بتهمة الإرهاب

عتاب

ما الذي عندها وليس لديَّا؟!
أي شيء تراه ينقص فيَا؟!

إن تكن أكثر النساء جمالا
ليس عذرا لكي تحب عليَّا

مخطئ أنت إن تناسيت حبا
كان كاللحن ساحرا وشجيا

إن تكن قد مللتني لمشيبٍ
لم يزل ذلك الفؤاد صبيا

أإذا جافت الينابيع غصنا
عافه الزهر بكرة وعشيا؟!

زهرة الأمس عطرها سَرْمَدِيٌ
وَسَتُهْدِيهِ مَنْ سَيُحْسِنُ رِيَّا

أنت النساء

ما كنت أحسب يوما أن تجافيني
يامن هواك دماء في شراييني

ما فات قبلك ولى ما شعرت به
لا حب فيه ولا ذكرى تسليني

أنت الهواء وأنت الماء كيف أنا
أحيا بدونك لو تحيين من دوني؟!

إني أحبك لو كل النساء هنا
وأنت لست هنا ما كان يعنيني

ما أثقل الخطو حين أسير منفردا!
،بلا خطاك طريقي ليس يهديني

وغير حضنك لو تدرين مقبرة
لا كنز فيها ولا تابوت يؤويني

صيفان لم تطرق الأشعار صومعتي
كأن عينيك وحيي أو شياطيني

أراود الحرف يأبى أن يطاوعني
فهل تعودين يوما كي يواتيني؟

تنهيدات

تطلين من أرفف الذكرياتِ
بعينيك كالنجمة العابرة
فأسترجع الطفل ذاك البريء
الذي كان يلعب بالطائرة
فيرسلها في الهواء بعيدا
ليصطاد أخرى بدت حائرة
تمدين لى قطعة من شُكُولاتةٍ
في ثيابك خبئتها
فنأكلها باسمين اقتساما
وأطمع حينا بها كلها
صغيرين كنا بقلب صغير
بطهر الملائك في مهدها

كما أنت حتى كأن الزمان
تناسى المجيء إلى شرفتِكْ
لعينيك نفس البريق القديم الذي يبعث السحر في بسمتِكْ
كما أنت لكنني قد تغيرت
شابت أمانيَّ في غيبتِكْ

لقد كنت في غربتي كل ليل
أرتب حضني بلا مرتمِ
تمر علي الياليِ بطاء
مرور الشتاء على معدمِ
فهل كنت أحتاج حزنا جديدا لتأتي بطهرك في عالمي؟!

تطلين، يا كم لبثت بكهفي
سنينا عجافا بلا مؤنسِ؟!
أجرب كل العقاقير حتى
أعيد خيالك في مجلسي
وآوي لأرجيلتي في المساء
فأشكو لها ظلمة المحبسِ

أنا الآن ماعدت طفلا بريئا
وطائرتي مزقتها الرياحْ
على سفح حزني أراقب موتي
وحيدا كنسر مهيض الجناحْ
تطلين، لا وقت عندي لحلم
جديد فقد أثخنتني الجراح

سيجارة

أنا لست كما في حياتك مهملا
بل كل عمرك مجملا ومفصلا
لولاي ما خطت يداك قصيدة
أو كان شعرك واضحا ومفصلا
فأنا التي أهدتك زهرة عمرها
وكم احترقت فكان تبغي مِشعلا
ماذا تغير هل وجدت عشيقة
غيري فأنستك الغرام الأول

حكاية لن تحكيها شهرزاد

بكل ملامح الحب التي ارتسمت على شفتي
بعيدا عن جدار اللون والأعراف واللغة

مددت يدي إليك وكنت ملهوفا ومشتاقا
فكيف تردني كفاك للكون الذي ضاقا؟!

وما شأني بمن حولي إذا ما كنت مولاتي
وفي عينيك لو تدرين أفراحي ومأساتي

خذي مني ابتسام الأمس ، أشعاري ، مواويلي
وخلي لي خيالا منك قبل النوم واحكي لي

عن الحب الذي أقسمتِ أن يحيا إلى الأبدِ
وبيت ثابت الأركان ضد الخوف والحسدِ

وآمالٍ رسمناها وأشواقٍ وصفناها
وذكرى في كتاب العشق يوما قد سطرناها

مددت يدي غريقا في عباب الشوق لا مرسى
فجاءت كفك البيضاء تسحقني وما أقسى!

كفى يا شهرزاد الديك صاح ،الفجر قد لاحَ
وقلبي ذلك الطفل الصغير بجرحه باحَ

سيبقى السندباد يطوف بالبلدان مغتربا
يصارع قسوة الأيام كي يستخرج الذهبا

وحين يعود بعد الرحلة الممتدة الأحزانْ
ليحكي عن صنوف الخوف والأهوال والحرمانْ

وعن جنية البحر التي كانت تغازلهُ
فيخبرها عن الثوب الذي بنلوبُ تغزلهُ

كفى يا شهرزاد الديك صاح، الفجر قد لاحَ
وقلبي ذلك الطفل الصغير بجرحه باحَ

ألا فاحكي الحكايا الألف تسليةً لمولاكِ
وخلي السندباد لحزنه ينعم بذكراكِ

بلا حبٍّ ولا ثوب ولا بنلوبَ منتظرة
ويبقى حزنه الأبديُّ تأكل قلبه الحسرة

أنشودة الفراق

قد لا يطول العمر حتى نلتقي
أخشى عليك الليل بعد فراقي
ما كنت مُزمِعا الفراق وإنما
خطو الحياةِ تباعدٌ وتلاقي
قدرٌ... فلا تتعجبي لمآلنا
فكذا الغرام مدامعٌ ومآقي

لا زلت أذكر كيف لقاؤنا
بين الرياض بمرفأ العشاقِ

الكف فوف الكف تفهم همسها
والساق لا تمضي خلاف الساقِ

كنا كساقية تفيض مشاعرا
فتسيل مثل الجدول الرقراقِ

بدت الدموع بمقلتيك فكفكفي
إن البكاء يحز في أعماقي

إني لوشك البين مثلك أصطلي
نارا تئن بقلبي الخفاق

لكنني أخفيت كل مدامعي
كي لا ألاحظ نظرة الإشفاقِ

لا تقلقي إن طال عهد غيابنا
فالقلب بعدك محكم الإغلاق

لن يستطيع البعد محو غرامنا
يوما ولن يهدا لظى أشواقي

انسحاب

أعلم الآن قلبي كيف ينساكِ
فلست أملك إلا قول أهواكِ

بيني وبينك شخص لست أعرفهُ
له النصيب ولي في القلب ذكراكِ

في معصميك قيودُ من أساوره
يئن منها فؤادُ كم تمناكِ

سلبيةٌ منك...لا ، بل أنت مرغمةٌ
على القبول وأدري من تحداكِ

أبٌ...رأى الصمت إيجابا فباركه
وليس يعلم أني في حناياكِ

وتلك أمُّكِ خافت من هواجسها
بأن ركب الأماني قد تخطاكِ

لو كنت أملك شيئا ما بخلت به
فإن حبك عندي كل أملاكي

وتعلمين يقينا أنه أبدا
لم تقتحم حصن هذا القلب إلاكِ

زرعت في غربتي زهرا أعود به
وحين عدت هنا لاقيت أشواكي

من سفر الحزن

لأني لست قديسا
فأملك صك غفراني
وما عندي عصا موسى
فأعبر بحر حرماني
وإيماني بأن الشعر
سلمه بلا أعتاب
جعلت قصيدتي صرحا
لعلى
أبلغ الأسباب

تعالي، قد سئمت الحب ميعادا بلا لقيا
على شفتيك ترياقي
فكيف ضننت بالسقيا؟!
وجن جنون أشعاري
وليس سواك من رقيا

بلا أنت استحال الشوق في الأعماق
سكينا
وحين لجأت للأشعار
ترويحا وتسكينا
تشابهت الحروف علي
تحريكا وتسكينا

أنا سِفر من الأحزانِ
حار الشعر في شرحي
نذرت لأجلك الأفراحَ
واستبقيت لي جرحي

فلا تخدعك ضحكاتي
ولا ما كان من فرحي
فأحزاني كعشب البحرِ...
لا تطفو على سطحي

كعكة اليتيم

أحبك للحب لا لاشتهاءْ
وأهجر فيك جميع النساءْ
فأنت بعيني نجم فريد
وحولك تسبح كل السماءْ

تعالي نلملمُ ما قد تبقى
ونبحر بالحب غربا وشرقا
فما زادني البعد إلا اشتياقا
إليك، وقلبي تمزق خفقا

أعيدي الجمال لكوني الدميمْ
ولا تذكري الأمس ذاك الأليمْ
ولا تخبريهم بحبي فيمسي
ككعكة عيد بكف اليتيمْ

في الوقت الضائع

فاض الحنين ولا لقيا ولا أملُ
وبالفؤاد جراح ليس تندملُ
ماذا أتى بك في دربي قد انطفأت
شموع عمري فكيف الشوق يشتعلُ؟!

فلترحلي ليس للبحار أمنية
والريح أرهق مجدافي فما العمل؟!
كم انتظرتك بل كم كنت منخدعا
بزيف وعدك لي يحدو بي الأمل

أبحرت من قبل والأمواج شاهدة
عليّ لم أخش أن ينتابني البلل

دمشق

دمشق أذكرها والدمع مسكوبُ
على صغير عليه الموت مكتوبُ
ملقى على الشط لا تابوت يحمله
وذنبه أنه للعرب منسوبُ

دمشق كيف نواري قبح سوأتنا
ثوب العروبة ياللعار مثقوب
هذي المليحة قد باعت ضفائرها
وكل بيت تأذى فيه أيوب

لك القصاص إذا دالت محاكمة
أو أن ميزان عدل ثم منصوب
لم يفتحوا حضنهم للطفل حين أتى
وفي البلاد له قتل وتعذيب

تبا لمن يدعي زورا مساندة
وثوبه بدماء القوم مخضوب
دمشق لا تنظري للأمس ترتقبي
لأن يعود صلاح الدين أيوب

مضي الفوارس والأسياف مغمدة
والخيل أقعدها التدليل والطيب

لا جنة في الأرض

للهاربين من الجحيم
الحالمين بجنة في الأرض
لا فيها الطريد
ولا تحاصرها الكلاب
ولا بها خفر على الأبواب
ثَمَّ يفتشون ويرتشون
ويسحقون بكفهم
ما قد تبقى من حنين

لا جنة في الأرض
فانتبهوا
جلسنا قبلكم
نحصى السنين

نراقب الأمواج
ننتظر الرفاق العائدين
كنا نعد الموج
حتى عادت الجثث
التي بالأمس ودعنا
مكفنة بأثواب الحنين
لا جنة في الأرض
فانتبهوا ولا يخدعنكم
حلو الكلام
ولا احمرار في الوجوه
ولا بياض الثوب
أو طول اللحى
لا والضحى
فوق الرؤوس
الشمس حارقةٌ
ويعمينا السراب
لا كف يحنو
يمسح الدمع الخبيء

ولا صديق
والليل آه
ذكريات الأمس ،
حب ضائعٌ،
ولفافة للصبر لا تخبو ،
ومصباح عتيق

لا جنة في الأرض
كل الأرض منفى
والقيود هي القيود
القهر نفس القهر لكن
قد تبدلت النقود

مراهَقة

أحن إليك يا عمري
حنين النمل للسُّكَّرْ
فأجلس في فراغ الوقت
أملأ باسمك الدفتر
وأذكر قبلتي الأولى
وصفعة خديَ الأيسر

ليالٍ فوق جزع الصبرِ
ينمو داخلي ألمي
أراقبُ طيفَكِ النَّائي
كما الأحلام عن نَوْمي
أتوقُ إلى ابتسامٍ من لَمَى شَفَتَيْكِ أو لومِ

تعاليْ واسمعي شعري
أنا ما عدتُ مغمورا
لدي الآن جمهورٌ
وشعري صار مشهورا
ورَغْمَ غرور أشعاري
فإني لست مغرورا

فواصل

(١)

هذا الحنين بعيني كيف أنكره
وأدعي الزور أني لست أشتاق
أجل أحبك والأشواق باقية
رغم الخلاف فإن القلب خفاق

(٢)

اكتب فوق جبين القبر
لم يستعذب جلد الذات
ظل يقاوم هذا القهر
حتى كفن بالكلمات

(٣)

ولا شيء غير الرصاصة حي
بهذي البلاد التي تعشقين

(٤)

لم يعد لي سوى الرحيل اختيارٌ
فرجاءً أحبتي سامحوني
ليس شوقا لغربةٍ ومنافٍ
إنما ضاق حضن من عشقوني

(٥)

لا تبكها وانس الزمان الماضي
ولى فلا عتبى على الأنقاضِ
حلم تناثر في الدروب فلا تسل
كيف ارتدى الجلاد ثوب القاضي
لا تطلبي مني الثناء فإنني
أسقطت شعر المدح من أغراضي
لم يبق عندي غير مر قصائدي
والمر قد يشفي من الأمراضِ

(٦)

نلتقي الآن
أنت أنا
دون فاصلةٍ بيننا
دون عطف
نلتقي....
فامدد الكفَّ
يشتاق كفْ
فرقتنا مقاديرنا
واحتوتنا الصدف

(٧)

أحبك سجلي الآن اعترافي وأرجو من غدٍ ألا تخافي

فما أنا بالمفرط فيك يوما ومالي عن هواك من انصرافِ

وقُبلتك الحياة وما سواها على شفتي كالسم الزعاف

الفهرس

الأعدقاء ٩
الريشة الأخيرة ١١
مرثية شيء ١٣
المنفى ١٥
نزيف المصابيح ١٧
السراب ٢١
الشوق الحائر ٢٥
اللحن التائه ٢٧
عتاب ٢٩
أنت النساء ٣١
تنهيدات ٣٣
سيجارة ٣٧
حكاية لن تحكيها شهرزاد ٣٩
أنشودة الفراق ٤٣
انسحاب ٤٥
من سفر الحزن ٤٧
كعكة اليتيم ٥١
في الوقت الضائع ٥٣
دمشق ٥٥
لا جنة في الأرض ٥٧
مراهَقة ٦١
فواصل ٦٣